الاستشراق الفرنسي

"دراسة في أصوله وتطوره واهتمامه واهم دعائمه"

أ.م.د فاهم نعمة إدريس الياسري/ جامعة واسط /كلية التربية

المقدمة.

مما لا شك فيه ان الاستشراق يشكل اليوم، بصورة أوأخرى احدى روافد المعرفة، ولاسيما معرفة الذات أوالآخر، فمن خلال الاطلاع على نتاتجات المستشرقين، يمكن لنا ان نتلمس صورتنا عند الآخر، ومن ثم يمكننا تلمس اهم العوامل والأسباب التي قادت الآخر لرسم صورتنا على النحو الذي عرضه علم الاستشراق، ما يدفع بنا إلى دراسة الذات، وفي ذلك فائدة كبيرة تؤدي في نهايتها إلى تصحيح الأخطاء وتعضيد الصحيح من في سلوكياتنا ومسيرتنا الوجودية.

وعلى الرغم من وجود عدد من الأصوات التي نادت بضرورة عدم اعتماد الاستشراق أوصورتنا لدى الأخر،كأحد عوامل تقييم الذات، على اعتبار انه كُتب لغاية هنا أو لهدف هناك من جهة، وربما كتب عن العرب والمسلمين بصورة وعقلية تختلف تماماً عن تلك التي كانوا يتوقعونها أو يأملونها من جهة ثانية، ألا انه لا يمكن الركون إلى تلك الأصوات وتعضيدها،لأنها لا تنطلق من أسس علمية ومنطقية، ومن هنا جاءت فكرة البحث التي هي اقرب إلى دعوة تطالب بضرورة التعمق بدراسة علم الاستشراق، ولصعوبة بيان هذا العلم في مجمله، اقتصرنا مثالاً على الاستشراق الفرنسي، فاستعرضنا أصوله وتطوره واهم دعائمه. وفيه تعرضنا إلى البدايات الأولى لظهور الاستشراق ودوافعه وأهدافه، ومن ثم نشأت الاستشراق الفرنسي ، كما عرضنا لنماذج من اهم المستشرقين الفرنسيين ، وختمنا البحث بمجموعة من الاستنتاجات التي تولدت أثناء كتابة البحث.

أولاً: الاستشراق ودوافعه وأهدافه.

أورد الباحثون عدة تعريفات للاستشراق تبعاً للأحداث التي كان يتواخوها أصحابه ومنها انه أسلوب غربي لمعرفة العالم الشرقي عن طريق البحث أو التخصص في الشرق، بدراسة علوم وأدبيات شعوبه للسيطرة، عليه[1]. أما تعريف الموسوعة الميسرة فهو " تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل ما يبحث في أمور الشرقيين، وثقافتهم، تاريخهم ويقصد به : ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي والتي تشمل حضاراته وآدابه ولغاته وثقافته[2]، ولقد اسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق الإسلامي بصورة خاصة ، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما، وهناك تعريفات عديدة غير هذه التعريفات تختلف

باختلاف الدراسة، والمنطقة المدروسة، والجهة الدراسة، والملاحظ ان بعض هذه التعريفات ركز على جانب دون جانب ألاأنها تجمع على دراسة علوم الشرق وخاصة الإسلام [3].

أما دوافعه وأهدافه فأنها تتنوع وتختلف تبعاً لمكانة المستشرق والجهة التي أرسلته، فالمستشرقون الذين وصلوا إلى الشرق بتشجيع وتمويل من الكنيسة يغلب عليهم الدافع التبشيري، أما الذين ارسلوا من قبل جهات استعمارية فيغلب عليهم الدافع الاستعماري[4]، وعلى هذا فانه يمكننا القول بان دوافع الاستشراق المهمة هي علمية اذ ان المستشرقين درسوا التراث الإسلامي في التاريخ والجغرافية والفلك والعلوم وغيرها، بل حتى الأساطير وتنافسوا في جمع المخطوطات، وقاموا بترتيبها وترجمتها وفهرستها، أما الذين وصلوا إلى الشرق بدافع ديني فقد عملوا على تنصير المسلمين، ونشر الديانة المسيحية في الشرق وعمدوا إلى إنشاء مركز لدراسة اللغة العربية في الفاتيكان[5].

وفضلاً عن الدوافع الدينية والعلمية فان دوافع استعمارية وقفت وراء الاستشراق اذ حرص الغربيون على تشجيع الاستشراق الذي يساعدهم على معرفة أحوال الشرق الاقتصادية والاجتماعية تمهيداً للسيطرة عليه، وكانت الدراسات التي قدمها المستشرقون قبل وأثناء غزو الغرب للبلاد الإسلامية قد مهدت بشكل كبير لاستعماره كما ان المستشرقين كانوا يتلقون دعماً مالياً كبيراً من قبل الدول الغربية التي ما انفكت تقدم لهم الاستشارة والعون المطلوب لإنجاز مهمتهم .

ومن خلال ما تقدم ظهر لنا بان اهم أهداف الاستشراق هو العمل على تهيأت الظروف الملائمة لاستعمار الشرق الإسلامي، وتمزيق وحدته عن طريق أثارة العصبيات والقوميات، غير ان من المستشرقين من اقلبوا على الاستشراق ودوافعهم حب الاطلاع على حضارة الأمم والأديان، وهؤلاء كانوا اقل خطأ من غيرهم في فهم الإسلام وتراثه[6]، كما ان بعض الغربيين حرص على تشجيع الاستشراق الذي يعينهم على معرفة أحوال الشرق الاقتصادية لترويج بضائعهم، وشراء موارد الشرق الطبيعية. كما يتمثل هذا الدافع في طموح الغرب لنهب نتاج المسلمين الفكري والعلمي، كما يشهد على ذلك متاحف الغرب وجامعاته المملوءة بالمخطوطات والكتب العربية والإسلامية[7].

ثانياً: نشأة الاستشراق الفرنسي.

يعود اهتمام الفرنسيين بالعالم الإسلامي عامة، والعربي بصورة خاصة إلى العصر الوسيط وتطور في القرن التاسع عشر وعرف ما سمي يومها بالاستشراق ازدهاراً ملحوظاً وبقدر اقترابنا من العصر الحالي، وعرف التخصص، فلم يعد مظهراً من مظاهر الدراسات الإنسانية فحسب، بل اتخذ شكل علم حقيقي قائم بذاته[8].

ان أول العلاقات بين فرنسا والعالم الإسلامي تعود إلى فتح المسلمين لمقاطعات فرنسية واستمرت أثناء وجود المسلمين في الأندلس، وفي الحروب الصليبية ثم إنشاء طرق للتجارة وتبادل السفراء ثم احتلال شمال أفريقيا، وحملة نابليون على مصر، وفتح قناة السويس والانتداب الفرنسي

في سوريا ولبنان، وكانت تلك العلاقات متنوعة ومختلفة، اختلط فيها الحرب والسلم والتجارة والثقافة[9].

تعود أولى المحاولات الفرنسية للتعرف على الشرق إلى عام 1553، اذ امر فرنسوا الاول بتدريس اللغة العربية و اللغات السامية الأخرى حيث انشأ معهداً في باريس واعد فيه منبراً لتدريس اللغة العربية واليونانية واللغات السامية الأخرى ثم جدد بعد ذلك مع بداية القرن السابع عشر الميلادي، أما مفهوم الاستشراق مؤسسياً واكاديمياً فلم يظهر في فرنسا ألا في عام 1799 ودارج في قاموس الأكاديميةالفرنسية عام 1838م[10].

وثمة تجربة أخرى مماثلة قامت في السنوات الأولى من القرن الثامن عشر اذ ارسل شبان من المسيحيين اليونانيين والأرمن إلى باريس لكي يتدربوا كمباشرين إلى بلاد الشرق . بيد ان التجربة لم تدم طويلاً[11]. وكثرت في الوقت عينه الرحلات إلى الشرق وازدادت بصورة كبيرة في القرن السابع عشر والثامن عشر سواء بدافع حب المغامرة أو بسبب الاستطلاع العلمي المتعدد الأوجه.

ومنذ الثورة الفرنسية سنة 1789، نشأت مؤسسة جديدة هي مدرسة اللغات الشرقية، وكان يدرس فيها اللغة العربية الفصحى والعامية ولغات شرقية أخرى[12]، ولم يكن أساتذة مدرسة اللغات الشرقية أساتذة فحسب بل علماء حقيقين ومنهم سيلفستر دي ساس، جوبير، رينو، دفويميري، وتعد ترجمة هؤلاء ومؤلفاتهم بحق من منجزات الاستشراق الفرنسي من الصنف الاول[13].

وفي سنة 1823 تأسست الجمعية الآسيوية فجمعت العلماء المعنيين بآسيا والشرق الأدنى والأقصى. وأصدرت مجلة مشهورة هي " المجلة الآسيوية"، التي تزخر مجلداتها بمئات البحوث العربية والإسلامية[14]. وقد دفع احتلال الجزائر من قبل فرنسا عام 1830، نحو توسيع دائرة الاستشراق ولاسيما العناية باللغة العربية ، كما تضاعف الاهتمام بعد احتلال تونس والمغرب اذ صار حتمياً التعرف على اللغة العربية والتاريخ. وعلى الحضارة العربية وعلى الديانة الإسلامية فترجمت ونشرت نصوص عربية كثيرة وكانت أكاديمية الكتابات والآداب الفرنسية الرائدة بذلك بطبعها نصوص شرقية تتناول الحروب الصليبية مع ترجمة لها[15].

ومع ذلك فان تعليم اللغات العربية والشرقية كان وما يزال وقفاً على مدرسة اللغات الشرقية وعلى كلية فرنسا . وقد غدت الأخيرة المكانة الأمثل لنخبة من الأساتذة يتنافسون بعرض حصيلة بحوثهم .بينما تخصصت مدرسة اللغات الشرقية بإعداد مترجمين باللغات الدارجة المكتوبة منها والمحكية[16].

ولم تقتصر فرنسا في تعليم اللغات السامية على مدارسها ومعاهدها وجامعاتها، بل وأنشأت مثيلاتها في الدول العربية ، وشمال أفريقيا وغيرها، فقد أنشأت في عام 1880 المعهد الفرنسي للأثار

الشرقية وأنشأت في تونس عام 1841، كلية بورجاد ثم تحولت هذه الكلية عام 1937، إلى معهد الآداب العربية كما أنشئ معهد قرطاجنة عام 1895 ومعهد الدراسات العليا عام 1945[17].

وفي الجزائر أنشأت عام 1881 مدرسة الآداب العالية ثم تحولت إلى جامعة عام 1909، وكانت تهتم باللغة العربية والتاريخ والآثار والحق بها معهد للدراسات الشرقية . وفي دمشق انشأ المعهد الفرنسي عام 1922، وانشأ في طهران عام 1948، المعهد الفرنسي الإيراني[18].

وقد حدثت تحولات في الاستشراق الفرنسي في القرن العشرين فقد سمح أنشاء المدرسة العلمية للدراسات العليا في باريس بتجديد المواد المتنوعة والمتخصصة . لاسيما على صعيد الدراسات الاستشرافية فقد كانت الدروس المعاطاة في هذه المدرسة على شكل مناقشة بحوث موجهة عادة إلى مستمعين متقدمين لهم قابلية على متابعة البحوث والدراسات في مختلف المواضيع والعلوم الإنسانية فتمتعت الدراسات الاستشرافية في ظل هذه المدرسة بالازدهار والتقدم، وأفادت من أنشاء عدة كراسي لتدريس اللغة العربية في بعض الجامعات الفرنسية وغيرها. وقام بالتدريس في مدرسة اللغات الشرقية وفي الجامعات المشمولة بالعربية والدراسات الشرقية ، أساتذة مشهورين ومن كبار المستشرقين أمثال لويس ماسنيون ، وجورج مارسيه، وهنري ماسنيه، ورينيه باسيه وغيرهم[19].

وتأسست بعد الحرب العالمية الثانية عدة كراسي لتدريس اللغة العربية وآدابها والحضارة والتاريخ والفلسفة وذلك في كليات ستراسبورغ وبوردو، وايكس ان بروفينس كما ظهر جيل جديد عنى بالدراسات الإسلامية[20].

وقد تطورت البحوث في هذه الحقبة ، وأصبحت اكثر تخصصاً كتلك التي تعنى بقضايا التاريخ الاقتصادي والتاريخ الاجتماعي، أو التاريخ العمراني، وأصول الفقه وفقه اللغة، وصولاً إلى المسائل الدينية والفنون والآثار[21] .

وفي مجال المكتبات تكونت في فرنسا عدة مكتبات عنت بالمصادر الشرقية والعربية الإسلاميةأهمها مكتبة باريس الوطنية التي إنشات في عام 1654، وتحتوي على ستة ملايين مخطوط منها سبعة الأف مخطوط عربي في الأدب والتاريخ. كما يوجد فيها قطع من المصحف مكتوبة في القرن الثاني والثالث والرابع الهجري، كما تضم المكتبة نوادر النقود والأوسمة والاختام والخرائط وإنشات الجامعات الفرنسية مكتبات عدة منها مكتبة ستراسبورغ ومكتبة المدرسة الوطنية للغات الشرقية ومكتبة افنيون ومكتبة الجمعية الآسيوية في باريس[22].

وقد انشأ معظم المستشرقين الفرنسيين مكتبات خاصة أوقف بعضها للمكتبات العامة ومنها مكتبة فرانك، ومكتبة الكونت رشيد الدحاح، ومكتبة فلوريان فرعون، ومكتبة خليل غانم، ومكتبة جان طرزاي، ومكتبة عبد الله مراش في مرسيليا، ومكتبة حبيب زيان في نيس، وقد اعتنى الفرنسيون بتلك المكتبات وتمت فهرستها وتصنيفها[23].

واهتم المستشرقون الفرنسيون بفهرست عدة مكتبات في شمال أفريقيا في تونس والمغرب والجزائر، والى جانب ذلك اهتم الفرنسيون بالطباعة وقد بدأت الطباعة الشرقية بالعبرية في باريس عام 1519، وأسست بعد ذلك عدة مطابع شرقية في فرنسا . ولم تقتصر المطابع الشرقية على فرنسا لوحدها، بل ان نابليون جلب معه مطبعة وعدداً من الباحثين والعلماء أثناء حملته على مصر عام 1798[24]. واهتمت عدة جمعيات فرنسية بالاستشراق ، ومنها الجمعية الآسيوية الفرنسية، والتي تأسست في باريس سنة 1822، واهتمت بتأليف ونشر الكتب النحوية واللغوية وغيرها، مما لها علاقة بدراسة اللغات الشرقية . كما اهتمت بالمخطوطات وترجمتها أو اخذ مختارات منها، كما جمعت معلومات مهمة عن الشرق وجعلتها مجالا اً للتخصص العلمي[25].

وصدرت في فرنسا عدة مجلات خاصة بالاستشراق ، وتعنى بالعرب في تحقيق تاريخهم وجغرافيتهم وأنسابهم وديانتهم ومذاهبهم وأخلاقهم، ودراسة لغتهم وآدابهم وفنونهم ومن اشهر تلك المجلات (صحيفة العلماء)، والتي أصدرتها جمعية العلماء الفرنسيين في باريس عام 1665، والمجلة الأسيوية 1822، أصدرتها الجمعية الآسيوية الفرنسية في باريس. كما أصدرت الجمعية التاريخية الجزائرية المجلة الأفريقية عام 1856[26]، وصدرت في باريس مجلة الأديان عام 1880، ومجلة العلوم الدينيةفي ستراسبورغ ومجلة حوليات الجغرافية عام 1891، والمجلة التونسية عام 1894.اصدرها معهد قرطاجنة كما نشر المعهد الفرنسي للأثار في القاهرة عام 1901 حولية تعنى بالأثار والتاريخ في مصر والشرق الأدنى وصدرت في باريس (نشرة الجمعية اللغوية)في عام 1905[27]. كما أصدر هنري باسيه ومجلة هسبيرس عام 1921، في باريس وكانت تصدر كل ثلاثة اشهر وبأشراف معهد الدراسات المغربية العليا في الرباط وصدرت مجلة الدارسات الإسلامية عام 1927، في باريس بأشراف لويس ماسنيون ومشاركة معهد الدراسات الإسلامية في باريس والمعهد الفرنسي في دمشق ونشر المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية في دمشق 1931، حوليه تعنى بالأثاروالتاريخ في سوريا والشرق العربي[28].

واصدر معهد الدراسات الشرقية بجامعة الجزائر عام 1934، حوليه صدرت في باريس كما صدرت في تونس عام 1937 مجلة معهد الآداب العربية وكانت تصدر كل ثلاثة اشهر ، وتعنى بالعادات والحرف واللهجات والتربية والحضارة[29].

وفضلاً عما تقدم صدرت عدة مجلات أخرى كانت اهتمامها باللغة والآدب والفنون والتاريخ منها (حوليات التاريخ الاجتماعي) عام 1939 في باريس ، ونشرة الدراسات العربية عام 1941، والمجلة السامية عام 1948، صدرت في باريس وكراسات تونس عام 1953، صدرت في تونس، ومجلة المعرفة وقد صدرت في باريس باللغتين العربية والفرنسية[30]. وصدرت عن قسم الإسلاميات في جامعة باريس (المجلة العربية) عام 1954، وكانت تصدر ثلاث مرات بالسنة وصدرت في باريس المجلة الفرنسية لدراسات البحر المتوسط، وقامت المجامع والإدارات الحكومية والهيئات الخاصة

والجمعيات الفرنسية بإصدار مجموعات علمية، فقد اصدر مجمع الكتابات والاداب عام 1663 مجموعه مؤرخي الصليبية في ستة عشر مجلدا كما صدر عن تاريخ المغرب كتاب المراجع العربية ومجموعه الكتابات السامية عام 1872، وتقع في خمسة أقسام (النصوص الفينيقية، الآرامية والعبرية، والحميرية والسبيئة)وغيرها[31].

ثالثاً: اهم دعائم الاستشراق الفرنسي

كان الفرنسيون من اكثر الشعوب الأوربية اهتماما بالدراسات الاستشرافية وهم رواد الاستشراق الأوربي، وسنغطي ترجمة لاهم المستشرقين الفرنسيين .

سلفستر دي ساسي:

يعد دي ساسي من اهم المستشرقين الفرنسيين ، تتلمذ على يديه مشاهير المستشرقين من فرنسيين وألمان وبريطانيين . ولد في باريس عام 1758، وتوفي والده وعمره سبع سنوات[32]، وبدأ تعليمه منذ طفولته في منزله فدرس الأدب اللاتيني واليوناني ، ثم درس الديانة المسيحية على يد احد الإباء وكان يحسن من اللغات الأوربية اللاتينية والألمانيةوالإسبانيةوالإيطاليةوالإنكليزية كما درس اللغة العربية والعبرية والفارسية والتركية[33].

وفي عام 1778، عين عضواً في جمعية كنوز المخطوطات الشرقية في مكتبة باريس الوطنية . فوضع بحثين في تاريخ قدماء العرب واصل آدابهم، وحقق أربعة كتب عربية عن فتح اليمن ، وعلق عليها، ولما بلغ عمره الثانية والثلاثين كان في طليعة المستشرقين العالميين ومن أعضاء مجمع الكتابات والآداب[34]، وانتدب أستاذاً للغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية فكتب التحفة السنية في علم العربية، وقد طبعت وترجمت إلى لغات عدة ، ثم عين أستاذاً في معهد فرنسا لتدريس اللغة الفارسية[35]، ونال لقب بارون عام 1808، بأمرإمبراطوري ، الف الجمعية الآسيويةوانشأ مجلتها ورأس تحريرها ست عشر سنة وعين عام 1823، مديراً لمدرسة ديوان فرنسا ومديراً لمدرسة اللغات الشرقية عام 1833 [36]، ومن مؤلفاته (تلخيص كتاب الخطط للمقريزي) وكتاب (جزء من كشف الممالك والأوزان والمكاييل الرسمية في الإسلام للمقريزي)، و(ترجمة تاريخ الساسانيين عن الفارسية لميرخوند ، والف كتب عن الدروز بعنوان (ديانة الدروز) ومن كتبه (الأنيس المفيد للطالب المستفيد) مختارات من ادأب العرب للهمداني وكذلك كتاب (ترجمة البردة للبوصيري)، (

واصل الأدب الجاهلي عند العرب) و(كليلة ودمنة) كما ترجم الكثير من الكتب التي كانت مرجعاً مهماً لدوائر الاستشراق[37].

لقد اختلف الباحثون في تقييم شخصية دي ساسي وخصوصاً في موقفه من العرب فمنهم من اثنى على أنصافه للعرب والمسلمين وبخاصة انه كان السبب في جعل باريس مركزاً للدراسات العربية وفي المقابل، كان آخرون يرون فيه وجهاً للاستشراق الاستعماري في المنطقة . وذلك لأنه أول مستشرق أوربي في العصر الحديث مثل الاستشراق كمؤسسة سياسية تعمل لخدمة الاستعمار الغربي وتثبيت أركانه في العالم الإسلامي ، حيث كان حلقة الوصل بين الاستشراق والسياسة الفرنسية الخاصة بالمسلمين وكان يستشار من قبل وزارتي الخارجية والحربية الفرنسيتين[38].

غوستاف لوبون : ولد في 7 أيار عام 1841 وهو مؤرخ وطبيب وفيلسوف .عرف عنه انه كان منصفاً للعرب والمسلمين وقد الف كتاباً في هذا بعنوان (حضارة العرب)، فهو يقول (انه كان للحضارة الإسلاميةتأثير عظيم في العالم ، وان هذا التأثير خاص بالعرب فلا تشاركهم فيه الشعوب الكثيرة التي اعتنقت دينهم. واذا كانت أمة تقر باننا مدينون لها بمعرفتنا لعالم الزمن القديم فالعرب هم تلك الأمة) [39].

لقد ترك لنا غوستاف لوبون العديد من المؤلفات منها (حضارة العرب) بحث فيه الدولة الإسلاميةوأسباب عظمتها وانحطاطها وكتاب (حضارة الهند) و(حضارة العرب في الأندلس) [40].

ومثلما اختلف الباحثون في تقييم شخصية دي ساسي فانهم اختلفوا أيضاً في شخصية لوبون فمنهم من عده منصفاً ، وأخرين اعترضوا على كتاباته لأنه تحامل فيها على المسلمين عندما كان يقول (ان الشريعة الإسلامية قد جمعت كلمة العرب في الماضي، ولكنها لم تعد ملائمة للعصر الحاضر) ولذلك يود لو تخلص العرب منها[41]. وهنا لابد لنا ان نقول ان المهتمين بالاستشراق اختلفوا ولا زالوا مختلفين حول الاستشراق فمنهم من امتدحه ومنهم من ذمه ولكننا يجب ان نتذكر ان الباحثين العرب يلزمهم في أحيان كثيرة ان يعودوا إلى كتب المستشرقين لمعرفة حجم تراثهم وعدد مخطوطاته وأماكن وجودها في مختلف مكتبات العالم وما حقق منها حتى الآن بشكل علمي وما لم يحقق[42]. وهكذا يتضح لنا ان الاستشراق الجاد والمحايد يقوم بعمل علمي مفيد جداً وبعيد عن أي مماحكة جدلية أو محاولة للتهجم على العرب والمسلمين.

لويس ماسينون : هو احد دعائم الاستشراق . ولد ماسينون عام 1883، في احدى ضواحي باريس وكان أبوه فرناند ماسينون فناناً .بدأ تعليمه عام 1896، فحصل على شهادة البكالوريا عام 1899، ودرس الفلسفة والرياضيات عام 1900-1901، واكمل دراسته الجامعية في باريس في المدة بين عامي 1901-1906[43].

بدأ اهتمامه بالشرق الإسلامي في مطلع القرن العشرين فقد زار الجزائر عام 1901، ثم تركها عائداً إلى بلاده لإكمالدراسته . نال شهادة الدبلوم في اللغة العربية من المدرسة الوطنية اللغات الشرقية الحية، طاف في البلاد الإسلامية كالحجاز والقاهرة والقدس وبغداد والاستانة ثم عاد إلى باريس عام 1919[44].

وعين معيداً ثم استاذا في كرسي الاجتماع الإسلامي في معهد فرنسا عام 1919، ثم مديراً للدراسات في المدرسة العلمية العليا تولى تحرير مجلة العالم الإسلامي عام 1919، ثم مجلة الدراسات الإسلامية التي حلت محلها عام 1927، انتخب عضواً في مجامع علمية عدة منها الجمعية الآسيوية والمجمع اللغوي بمصر، والمجمع العربي بدمشق[45].

ترك ماسنيون مئات من الكتب والبحوث والرسائل والمقالات غير ان اهم ما كتبه كان كتابه عن الصوفي البغدادي أبي منصور الحلاج[46]، الذي نال به شهادة الدكتوراه عام 1922، وقد وصف الكتاب احد تلامذته المغاربة بانه (احسن ما أخرجته يد الاستشراق لأنه جاء بمعلومات دقيقة وكثيرة عن التيارات الفكرية في الإسلام وعن نزعاتهم ومؤلفاتهم ، ومواقف بعضهم من بعض) [47].

وفضلاً عن ذلك فقد الف ماسنيون دراسة ميدانية عن لهجات بغداد، وكانت له مؤلفات في مواضيع مختلفة في الفكر الإسلامي وتراجم لعدة شخصيات مهمة في الإسلام والشرق[48]. ومما يجدر ذكره هنا ان معرفة ماسنيون بالشؤون الإسلامية والعربية دفعت جورج بيكو وزير خارجية فرنسا، إلى اختياره مساعداً له لوضع اتفاقية عام 1916، بين فرنسا وبريطانيا، والتي سميت معاهدة سايكس-بيكو موضع التنفيذ ولتعين مناطق النفوذ الفرنسية والإنكليزية في الشرق الأدنى[49]، وارتبط بعلاقات صداقة مع الأمير فيصل بن الحسين، حيث عين ضابطاً مساعداً للوحدة العسكرية التي عهد بها الى الأمير فيصل بعد احتلال القوات البريطانية مدينة غزة، ثم اصبح في الحقبة الممتدة بين 27 آذار 1617 و28 نيسان 1919، ضابطاً مساعداً في مفوضية فرنسا العليا لفلسطين وسوريا[50].

ارتبط لويس ماسنيون بعلاقات طيبة مع عدد من علماء بغداد وأدباءها نتيجة لزياراته المتكررة لها. وقد قال عنه الأب النستاس ماري الكرملي[51]، انه كان (عالماً خبيراً بتاريخ العرب ومشاهيرهم ومؤلفاتهم) [52]، وقال عنه في موضع اخر بانه (من مشاهير المستشرقين الفرنسيين، وقد وقف على علوم العرب حضرييهم وبدوييهم حتى انه ادهش علماء المسلمين انفسهم في حاضرتنا بغداد، وهو كثير التأليف على حداثة سنه) [53]، وفضلاً عما ذكرناه من المستشرقين الفرنسيين فان هناك العشرات بل المئات الذين لم نذكرهم في هذا البحث المتواضع[54]

الخاتمة

تميز الاستشراق الفرنسي بسمات عدة منها .

1-تتركـز دراسـات المستشـرقين الفرنسـيين حـول ثلاثـة محـاور :المحـور الـديني ، والمحـور السياسي، والمحور الاستعماري.

2-يعد معهد اللغات الشرقية اهم مكان ترعرع فيه الاستشراق الفرنسي.

3-كان لجامعة السوربون اثر واضح في تنشيط الدراسات الشرقية في فرنسا.

4-كان لتأسيس المعاهد والمدارس والمراكز الثقافية في بلاد الشرق تأثير كبيـر فـي فرنسـة عـدد من هذه البلاد خاصة تلك التي استعمرتها فرنسا.

5-يمتاز الاستشراق بالتخصص؛ فان معظم أفراده يتخصص كل منهم في جانب من جوانب البحث والدراسة.

6-نشـأت معظـم الجمعـات والمعاهـد الفرنسـية التـي تعنـى بالدراسـات الشـرقية بجهـود رهبـان وقساوسة كما تولوا إداراتها.

7-قام الاستشراق الفرنسي بفهرسة الكثير من الكنوز الشرقية من مخطوطـات ووثـائق وغيرهـا، سواء في فرنسا أو في غيرها من البلاد التي استعمرتها.

8-اهتم الاستشراق الفرنسي بكل ما يتعلق بالشرق عمومـاً، وان كـان تركيـزه يشـتد علـى عمـوم المسلمين والعرب.

9-يعد الاستشراق الفرنسي المرجع الأوربـي الاول عـن الأبحـاث والدراسـات الخاصـة بـالطوارق والبربر، وكان تركز مستعمراته في أفريقيا عـاملاً مسـاعداً لـه علـى ذلـك، واهتمامـه بهـذا النـوع مـن الدراسات لا يخلو من نوايا استعمارية.

10- ترك بصماته الواضحة على التعليم في أفريقيا وخاصة في الشمال منهـا، وذلـك بسـبب ما أتيح لأعضائه من فرص في التدريس والتوجيه التربوي وتخطيط المنـاهج.

11- اهتم الاستشراق الفرنسي بالآثار وتتبعها في مواقعها وانشأ لها معاهد ومراكز خاصة.

ملحق بأسماء المستشرقين الفرنسيين

الفريد بل	بلليو	مارشـــــل كوهين	لوبينياك
جي اثور	ايرسول	جروسه	رينيـــــــــه جيستون
بولياك	فيغره	هنري ماسه	مونتان
الاسقفديفريس	ليفير	سيذي	ليسكي
فيغريه	دبيني جان	كاره	جـــــابريس كولين
كور	هـ بوانسو	جاســـتون فيبيت	يلا شير
ريكار	اوتران	دي سينفال	ميكل
ايكو شاد	هالفن	هنـــــري برونو	هنري لادوست

ايفر	رينو	جرول	جاك بيرك
لكير جه	جودار	كانار	شارل كونتز
بروست	بول مارتي	اوكتاف بل	اندريهرايمون
وليم مارسه	إميل أمار	ليـــــون جوزيه	دومينيـــــك سورديل
كامرير	دويف	ليـــــون بيرشيه	الفونســـاتيين دينيه
جورج مارسه	مونيه	بيريس	روجيـــــه جارودي
جرانشان	بيرك	ماريار	مـــــوريس يوكاري
بلانشار	جيلسون	جان جوين	

الهوامش

([1])عبد الرحمن حسن الميداني، أجنحة المكرر الثلاثة وقوافيها، التبشير، الاستشراق، الاستعمار ، ط7، دمشق ، 1994، ص5.

([2]) مانع الجهني ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الرياض، 2001، ص4.

([3]) للمزيد من التفاصيل راجع، ادوارد سعيد، الاستشراق، ت. كمال أبو ديب، بيروت ، 1991، ص12.

([4]) محمد فتح الله الزيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله، دمشق، 2002،ص15.

([5]) المصدر نفسه، ص20.

([6]) نذير حمدان، مستشرقون سياسيون جامعيون مجمعيون، الطائف ، 1988، ص23.

([7]) نجيب العقيقي، المستشرقون، القاهرة، بدون تاريخ نشر، ص18.

([8]) محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، القاهرة، 1989، ض25.

([9]) روبير منتران، الاستشراق الفرنسي، أصوله وتطوره، وأفاقه، ت. يوسف حبي، مجلة سلسلة كتب الثقافة المقارنة، العدد الثاني ، شباط 1978، ص32-33.

([10]) المصدر نفسه، ص32.

([11]) المصدر نفسه، ص33.

([12]) محمود حمدي زقزوق، المصدر السابق، ص60.

([13]) المصدر نفسه، ص62.

([14]) روبير منتران ، المصدر السابق، ص62.

([15]) محمد عبد الله ميلباري، المستشرقون والدراسات الإسلامية، الرياض ، ص1990، ص31.

([16]) روبير منتران، المصدر السابق، ص35.

([17]) محمود حمدي زقزوق، المصدر السابق، ص38.

([18]) مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون، بيروت 1978، ص28.

([19]) محمد البشير المغلي، مناهج البحث لدى المستشرقين وعلماء الغرب، الرياض، 2002،ص85.

([20]) لطفي حداد، الإسلام بعيون مسيحية، ط1، بيروت، 2004، ص95.

([21]) عبد العال محمد الجبري، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، ط1، القاهرة، 1995،ص85.

([22]) المصدر نفسه، ص92.

([23]) محمد بشير المغلي، المصدر السابق، ص91.

([24]) محمود حمدي زقزوق، المصدر السابق، ص65.

([25]) لطفي حداد، المصدر السابق، ص99.

([26]) نجيب العقيقي، المصدر السابق، ص25.

([27]) المصدر نفسه، ص26.

([28]) محمد امين حسن محمد بني عامر، المستشرقون والقران الكريم، اربد، 2004، ص75.

([29]) محمد عبد الله ميلباري، المصدر السابق، ص45.

([30]) محمد عبد العال الجبري، المصدر السابق، ص90.

([31]) المصدر نفسه، ص92.

([32]) مصطفى السباعي، المصدر السابق، ص29.

([33]) نذير حمدان، المصدر السابق، ص95.

([34]) محمد حسن محمد بن عامر، المصدر السابق، ص82.

([35]) عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، بيروت، 1993،ص75.

([36]) المصدر نفسه، ص77.

([37]) المصدر نفسه، ص81.

([38]) نجيب العقيقي، المصدر السابق، ص75.

([39]) عبد الرحمن حسن الميداني، المصدر السابق، ص35.

([40]) عبد الرحمن بدوي، المصدر السابق، ص83.

([41]) روبير منتران، المصدر السابق، ص38.

([42]) صلاح الجابري، الاستشراق قراءة نقدية، دمشق، 2009، ص65؛ عبد الله العليان، الاستشراق بين الأنصافوالإجحاف، الدار البيضاء، 2003، ص65.

([43]) جان موريون، لويس ماسنيون، ت. منى النجار، بيروت، 1981، ص5.

([44]) نجيب العقيقي، المستشرقون، ج1، ط3، القاهرة، ص287.

([45]) المصدر نفسه، ص287.

([46]) احد رجال الفكر الصوفي في القرن التاسع الميلادي، تلقى ثقافته الدينية في واسط وبغداد والبصرة، وقام برحلات متعددة إلى الهند وتركستان، وغيرها ثم عاد إلى بغداد حيث أثارت مواعظه رجال الشريعة، واتهم بالإلحاد فسجن ثمان سنوات، ثم حكم عليه بالإعدام، راجع، أخبار الحلاج، تحقيق وتعليق. لويس ماسينون وب. كرواس ، باريس 1936.

([47]) جريدة العراق، العدد 2197، 20 نيسان 1983، مقتبس من مجلة البينة المغربية، العدد 840، مقالة الأستاذ احمد بناني، ص51.

([48]) عن مؤلفات ماسنيون، انظر . جان موريون، المصدر السابق، ص35.

([49]) جريدة العراق، العدد 2271، 20 تموز 1983.

([50]) جان موريون، المصدر السابق، ص7.

([51]) ولد الأب ماري الكرملي، في بغداد عام 1866، دخل المدرسة الآباء الكرمليين لتلقي دراسته الابتدائية منها، وسافر إلى عدة بلدان واصبح اشهر لغوي في بغداد، وله الكثير من المؤلفات في اللغة والتاريخ للمزيد يراجع، كوركيس عداد، الأب انستانس ماري الكرملي، حياته ومؤلفاته، بغداد، 1966،ص7؛ إبراهيم السامرائي ، الأب انستانس الكراملي، وآراؤه اللغوية، بغداد، 1969،ص9.

([52]) مجلة لغة العرب، السنة الثانية، الجزء السادس، كانون الاول، 1912،ص255.

([53]) المصدر نفسه، ج11، آيار 1913، ص529.

([54]) انظر الملحق بأسماء اشهر المستشرقين الفرنسيين.